الطائرُ الفلسطيني الجميل

(الى أبطال عملية الشهيد كمال جنبلاط)

أحمد عزالدين

للريحِ أجنحةٌ ،
وللأمواج أشرعةٌ ،
وللقلب الفلسطينيِّ ،
داءُ الحبِّ ،
أو داءُ الشهادة .
وأنا قتيلكِ ،
كفّنيني الآنَ بين خليّتينِ شهيدتينِ ،
وزوّجيني عشبةً ،
في أرض يافا ،
وآمنحيني من حجارتها رضاباً بارداً ،
وتناولي شفتيَّ ،
من تحتِ الرصاصِ ،
وناولي قلبي السلامةَ ،
وأنا حبيبكِ ،
لم أرَ عينيكِ قبلَ الآنَ ،
إلّا في الخرائطِ ،
لم ألامسِ من حلاوتها ،
سوى خطِّ دخانيّ ،
وعشبٍ ناشفٍ ،
وصدى غمامه ،
وأنا أسيركِ ،
لم أر عينيكِ أجملَ ،
قبل هذا اليومْ .
كلمّني محمدُ ،
حين صرتُ على مسافةِ برتقالةِ ،
من غصونِ الكرملِ المسروقِ ،
كلمني يسوعُ ،
بيتاً ،
لأطفالٍ ، سيأتي يومهمْ ،
يوماً ،
ويشعل في بنادقنا ،
أوارهْ .
رمت السهولُ عليّ أجنحةً من القمحِ البليلِ ،
وفتّحت تحتي الحقولُ ،
كنوزَها ،
وتدافعت نحوي البيوتُ
وكنتُ أسمعُ ،
نبضَها ،
يمشي على قدمين من لهبٍ ،
ويدفعني الى نفسي ،
ويدفعها إلى جسمي .
ويدفعُ بيتنا ،
في الصمتِ ،
نارهْ .
شفتي على شفتينِ ،
من عنب الجليلِ ،
وساعدي في خصرِ يافا ،
والتراشق بالبنفسجِ ،
يستمرّ نهارَها المشدودَ ،
من قوسي ،
وتبدأ بين حضنينا ،
القيامةَ !
وقام من دمهِ ،
وجفّفَ عن جبيني الوقتَ ،
عانقني ،
وسلّمني القيامة ،
وأنا اقتربتُ ،
وما اقتربت من الحصى والرملِ ،
ما لمست خطايَ ،
أديمَ أرضٍ ،
لم تفارذق مقلتيّ ،
ولم أفارق دمعها الجوّالَ ،
لكنّي آقتربت من الدمّ الفوّارِ في جسمي ،
آقتربت من الحقيقةِ ،
حين صرت ، على مسافةِ ،
نبضتين من الحجارة ،
وأنا عبرتُ ،
وما عبرتُ النهرَ ،
لكنّ لجّةَ الشعراءِ والخطباءِ ،
(زوّادي) عصيرَ الشمسِ ،
حينَ رأيت عينك في الفضاءِ الرحبِ ،
طالعةً من الشجر البعيدِ ،
ومن شقوقِ الطينِ ،
طافيةً ، على بحرٍ من الأسرارِ والأطفالِ ،
ردّتني فلسطينُ العصيّةُ ،
نحو بيتي .
واشترت مني دمي ،